

جيل الخلافة



www.ketneb.com

سلسلة أمي البطلة
مكتبة الطفل

2

أمي... المرئية الحانية

بقلم رزنة صالح



أمي... المرئية الحانية

بقلم رزنة صالح

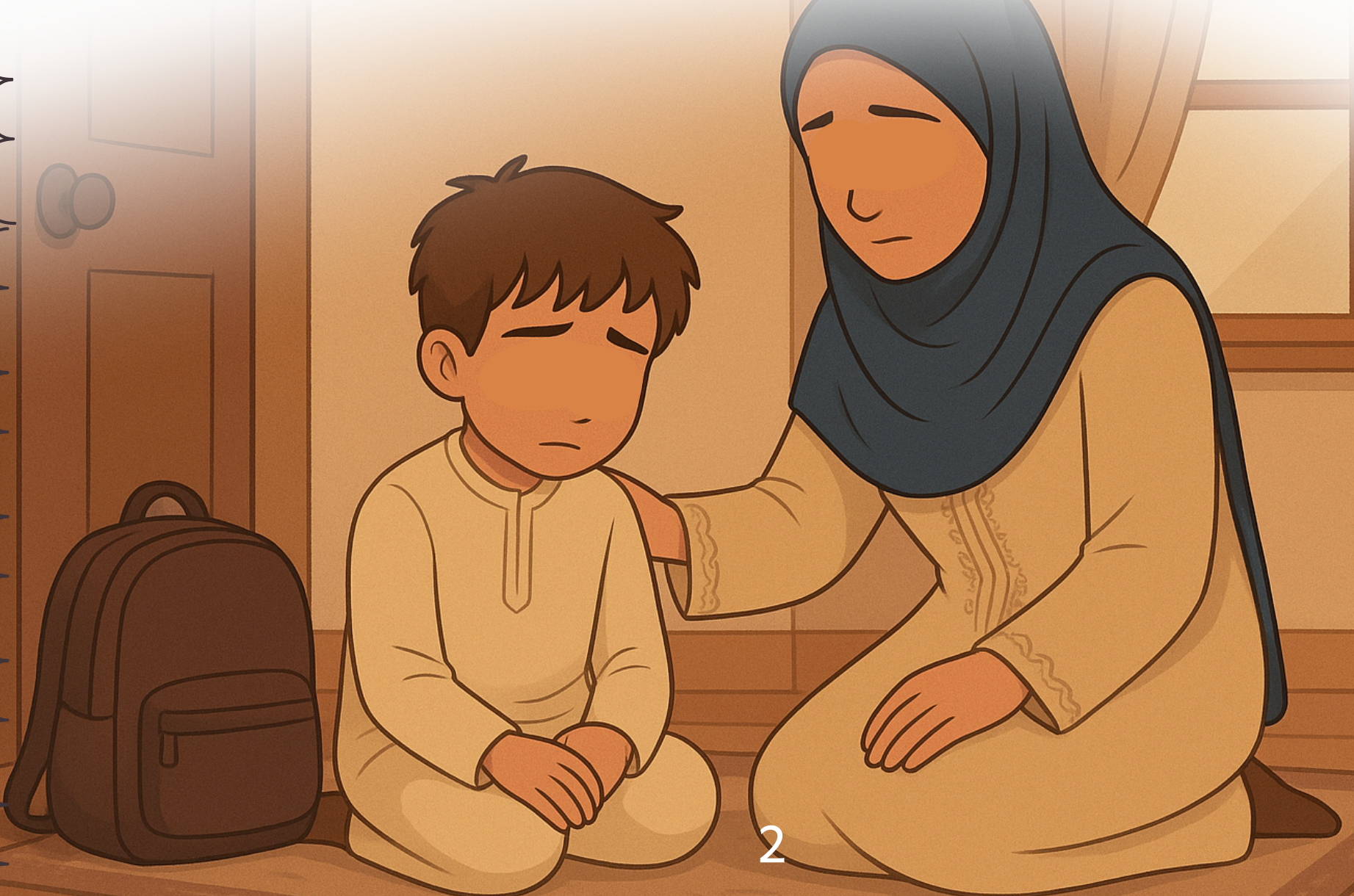
عَادَ عُمَرُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ، يَحْمِلُ حَقِيْبَتَهُ يَجْرُهَا جَرًّا، كَأَن
بَدَاخِلَهَا شَيْئًا أَثْقَلَ مِنَ الْكُتُبِ. كَانَ يَمْشِي بِخُطَى سَرِيْعَةٍ،
وَصَوْتُهُ الْمُعْتَادُ لَمْ يُنَادِ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أُمِّي!»

دَخَلَ الْبَيْتَ، وَوَضَعَ حَقِيْبَتَهُ قُرْبَ الْبَابِ، وَجَلَسَ صَامِتًا،
كَأَنَّ قَلْبَهُ يَبْحَثُ عَنِ زَاوِيَةٍ يَخْتَبِي فِيهَا. نَظَرَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ مِنْ
بَعِيدٍ، وَلَا حَظَّتْ عَلَيْهِ التَّغْيِيرَ فِي مَلَامِحِهِ. لَقَدْ شَعَرَتْ بِأَنَّ
فِي صَدْرِهِ سُؤَالَ يَخْشَاهُ. اقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَقَالَتْ بِرَفْقٍ:

- مَا بِكَ يَا عُمَرُ؟ هَلْ ضَايَقَكَ شَيْءٌ الْيَوْمَ؟

ظَلَّ يَتَرَدَّدُ... ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ خَافِي:

- مَا مَا... الْيَوْمَ فِي الْمَدْرَسَةِ، كَانَ صَدِيقِي يَتَحَدَّثُ عَنِ أُمِّهِ
وَكَيفَ تَعْمَلُ فِي مَكْتَبِ كَبِيرٍ، وَقَالَ إِنَّ الْأُمَّ الَّتِي تَبْقَى فِي
الْبَيْتِ لَيْسَ لَهَا قِيَمَةٌ، وَأَنَّهَا لَا تَفْعَلُ شَيْئًا مُهِمًّا.



هَزَّ رَأْسَهُ بِحُزْنٍ، وَكَانَ الْكَلِمَاتِ أَثْقَلَ مِنْ عُمرِهِ:
- وَقَالُوا لِي إِنَّكَ لَا تَعْمَلِينَ، وَإِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي لَا تَخْرُجُ لِلْعَمَلِ
كَأَنَّهَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْمَجْتَمَعِ، إِنَّهَا لَا شَيْءَ! هَلْ هَذَا
صَحِيحٌ يَا أُمِّي؟

لَمْ تَغْضَبِ الْأُمَّةَ. لَمْ تَتَأَلَّمِ. كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّ الْعَالَمَ خَارِجَ الْبَيْتِ
يَمْلَأُ الْأَطْفَالَ بِكَلِمَاتٍ فَارِغَةٍ. مَدَّتْ يَدَهَا إِلَيْهِ وَقَالَتْ:
- تَعَالَ يَا عُمرُ، سَأُرِيكَ عَمَلًا لَا تَرَاهُ فِي الصُّورِ وَالْوِظَائِفِ.
أَمْسَكَتْ بِيَدِهِ، وَقَادَتْهُ إِلَى النَّافِذَةِ. كَانَ الْغُرُوبُ يُصْبِغُ
السَّمَاءَ بِلَوْنٍ ذَهَبِيٍّ دَافِيٍّ.

قَالَتِ الْأُمَّةُ بِنَبْرَةٍ هَادِيَّةٍ:

- يَا عُمرُ، مَنِ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ، وَتَغِيبُ كُلَّ
يَوْمٍ بِهَذَا النِّظَامِ الْجَمِيلِ؟

قَالَ فَوْرًا:

- اللَّهُ.



ابْتَسَمَتْ وَقَالَتْ:

- وَهَلْ تُعَلِّمُكَ الْمَدْرَسَةُ كَيْفَ تُحِبُّ اللّٰهَ؟ كَيْفَ تَعْرِفُهُ؟

كَيْفَ تَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ؟

هَزَّ رَأْسَهُ:

- لَا، وَلَكِنَّكَ أَنْتِ تُعَلِّمِينِي هَذَا دَائِمًا.

قَالَتِ الْأُمُّ:

- أَوَّلُ دَرْسٍ فِي الْحَيَاةِ يَا عُمَرُ لَيْسَ الرِّيَاضِيَّاتِ وَلَا الْعُلُومِ

أَوَّلُ دَرْسٍ هُوَ أَنْ تَعْرِفَ اللّٰهَ، وَتُؤْمِنَ بِهِ، وَتُحِبَّهُ. وَهَذَا يَا

صَغِيرِي عَمَلٌ مُّعَلِّمَةِ الْبَيْتِ.

ثُمَّ أَكْمَلَتْ:

- النَّاسُ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْأُمَّةَ فِي الْبَيْتِ «لَا تَعْمَلُ». لَا

يَعْرِفُونَ أَنَّ الْأُمَّةَ كُلَّهَا تَبْدَأُ مِنْ قَلْبِ الْأُمِّ.

إِنْ صَلَحَ قَلْبُ الْأُمِّ صَلَحَ أَطْفَالُهَا،

وَإِنْ صَلَحَ الْأَطْفَالُ؛

صَلَحَ الْمُسْتَقْبَلُ كُلُّهُ.

شَعَرَ عُمَرُ بِشَيْءٍ دَافِيٍّ

يَسْرِي فِي صَدْرِهِ،

وَكَأَنَّهُ يَسْمَعُ الْحَقِيقَةَ

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ.



سَارَتِ الْأُمُّ مَعَهُ إِلَى رَفٍّ صَغِيرٍ، وَأَخَذَتْ كِتَابًا مِّنَ السِّيَرَةِ.
جَلَسَتْ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي حُضْنِهَا، وَبَدَأَتْ تَقُصُّ عَلَيْهِ
قِصَّةَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ ذَهَبَ إِلَى الطَّائِفِ. كَانَ صَوْتُهَا عَذْبًا،
وَالكَلِمَاتُ تَدْخُلُ قَلْبَهُ قَبْلَ أُذُنِهِ.
وَعِنْدَمَا انْتَهَتْ، قَالَتْ:

- الْمَدْرَسَةُ تُعْطِيكَ مَعْلُومَةً، أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَيُعْطِيكَ قُدُورَةً،
وَمُعَلِّمَةُ الْبَيْتِ تُعْطِيكَ الطَّرِيقَ لِتُصْبِحَ رَجُلًا يُشْبِهُ هَذِهِ
الْقُدُورَةَ.

بَقِيَ عُمَرُ صَامِتًا، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ كَانَ مَلِيئًا بِالْكَلامِ.
فَجَاءَهُ سَمِيعًا صَوْتُ الْمَاءِ يَتَدَفَّقُ. رَكَضًا نَحْوَ الْمَطْبَخِ، فَوَجَدَا
أُخْتَهُ الصَّغِيرَةَ لُبْنَى قَدْ فَتَحَتْ صُنْبُورَ الْمَاءِ
وَلَمْ تَعْرِفْ كَيْفَ تُغْلِقُهُ، فَتَدَفَّقَ الْمَاءُ
بِكثْرَةٍ وَبَلَّلَ الْأَرْضَ.



رَأَى عُمَرُ أُمَّهُ تَقْتَرِبُ بِهُدُوءٍ مِنَ الصُّنْبُورِ فَتُغْلِقُهُ، وَتَقُولُ بِصَوْتٍ
مُعَلِّمٍ لِلْبُنَى الصَّغِيرَةِ:

- لَا نَفْعَ لِهَذَا يَا لُبْنَى، لِنَحْذَرَ مِنَ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ.
مَسَحَتْ أُمُّ عُمَرَ الْمَاءَ مِنَ الْأَرْضِيَّةِ، ثُمَّ ضَحِكَتْ، كَأَنَّ الْمَوْقِفَ
لَعِبَةً صَغِيرَةً. وَلُبْنَى تُرَاقِبُ كُلَّ ذَلِكَ بِعَيْنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ. سَأَلَهَا
عُمَرُ بِدَاهِشَةٍ:

- مَآءًا، لِمَاذَا لَمْ تَتَضَايِقِي؟
قَالَتْ وَلَمَعَةً تَظْهَرُ فِي عَيْنَيْهَا:

- لِأَنَّيَ مُرَبِّيَّةٌ يَا بُنَى وَالْمُرَبِّيَّةُ يَجِبُ أَنْ تَتَحَلَّى بِالصَّبْرِ
وَالشَّجَاعَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَأْتِي مِنْ قَلْبٍ يَعْرِفُ اللَّهَ. وَالْقَلْبُ الَّذِي
يَعْرِفُ اللَّهَ لَا يَخَافُ مِنَ

الْمَشَاكِلِ، بَلْ يُوَاجِهُهَا.
أَخْتُكَ صَغِيرَةٌ وَتَتَعَلَّمُ،

وَيَجِبُ أَنْ أَصْبِرَ عَلَى
تَعْلِيمِهَا، وَأُصْلِحَ

خَطَايَا أَمَامَهَا بِنَفْسٍ

رَضِيَّةٍ، لِكَيْ تَتَعَلَّمَ

كَيْفَ تُصْلِحُهُ هِيَ أَيْضًا

بِنَفْسٍ رَضِيَّةٍ.



شَعَرَ حُمُرُ أَنَّهُ يَتَعَلَّمُ دَرْسًا لَا يُوجَدُ فِي أَيِّ كِتَابٍ.
وَفِي اللَّيْلِ، جَلَسَتْ الْأُمُّ مَعَهُ، وَوَضَعَتْ وَرْقَةً بَيْضَاءَ. ثُمَّ
خَطَّتْ فِيهَا: وَقْتُ الصَّلَاةِ، وَوَقْتُ اللَّعِبِ، وَوَقْتُ الْقُرْآنِ،
وَوَقْتُ النَّوْمِ.
وَقَالَتْ:

- هَكَذَا يَا حُمُرُ يَعِيشُ الْإِنْسَانُ يَوْمَهُ، مُنَظَّمًا. تَنْظِيمُ الْحَيَاةِ أَهَمُّ
مِنْ حِفْظِ مِئَةِ دَرْسٍ!

إِبْتَسَمَ حُمُرٌ، وَشَعَرَ أَنَّهُ بَدَأَ يَفْهَمُ كَيْفَ يَكُونُ قَائِدًا لِيَوْمِهِ.
وَبَعْدَ الْعِشَاءِ، جَلَسَ بِجَانِبِ أُمِّهِ يَتَصَفَّحُ كِتَابَهُ الْمَدْرَسِيِّ،
فَسَقَطَتْ مِنْهُ وَرْقَةٌ، كَانَ قَدْ دَسَّهَا لَهُ زَمِيلُهُ فِي الْمَدْرَسَةِ،
وَكَتَبَ فِيهَا كَلِمًا مُزْجِجًا. انْتَبَهَتْ أُمُّ حُمُرٍ
لِلْوَرْقَةِ، وَانْتَبَهَتْ لِانْزِعَاجِ حُمُرٍ، فَقَالَتْ:

- مَاذَا كُتِبَ فِي الْوَرْقَةِ
يَا حُمُرُ؟ لِمَ أَنْتَ مُنْزِعِجٌ؟
قَالَ:

- لَا شَيْءَ يَا أُمِّي،
إِنَّهَا مُشَاغِبَاتٌ وَوَلِيدٌ،
لَقَدْ دَسَّهَا لِي لِئُزْجِجَنِي.



قَالَتْ: وَمَاذَا كُتِبَ فِيهَا؟ قَالَ:
- لَقَدْ كُتِبَ لِي " أُمَّكَ لَا شَيْءًا! "
قَالَتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ بِابْتِسَامَةٍ لَطِيفَةٍ:

- يَا بُنَيَّ، قِيمَةُ الْأُمِّ لَيْسَتْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَقِفُ فِيهِ، بَلْ
فِي الْأَثَرِ الَّذِي تَتْرُكُهُ. الْأُمُّ الَّتِي تَبْقَى فِي الْبَيْتِ لَيْسَتْ بِلَا
عَمَلٍ وَلَا حَبِيسَةَ الْجُدْرَانِ! بَلْ مُمَسِكَةٌ بِمَفَاتِيحِ جِيلٍ كَامِلٍ.
وَتُنِيرُ مَمْلَكَةً كَامِلَةً تَتَرَبَّى فِيهَا آمَالُ أُمَّةٍ!

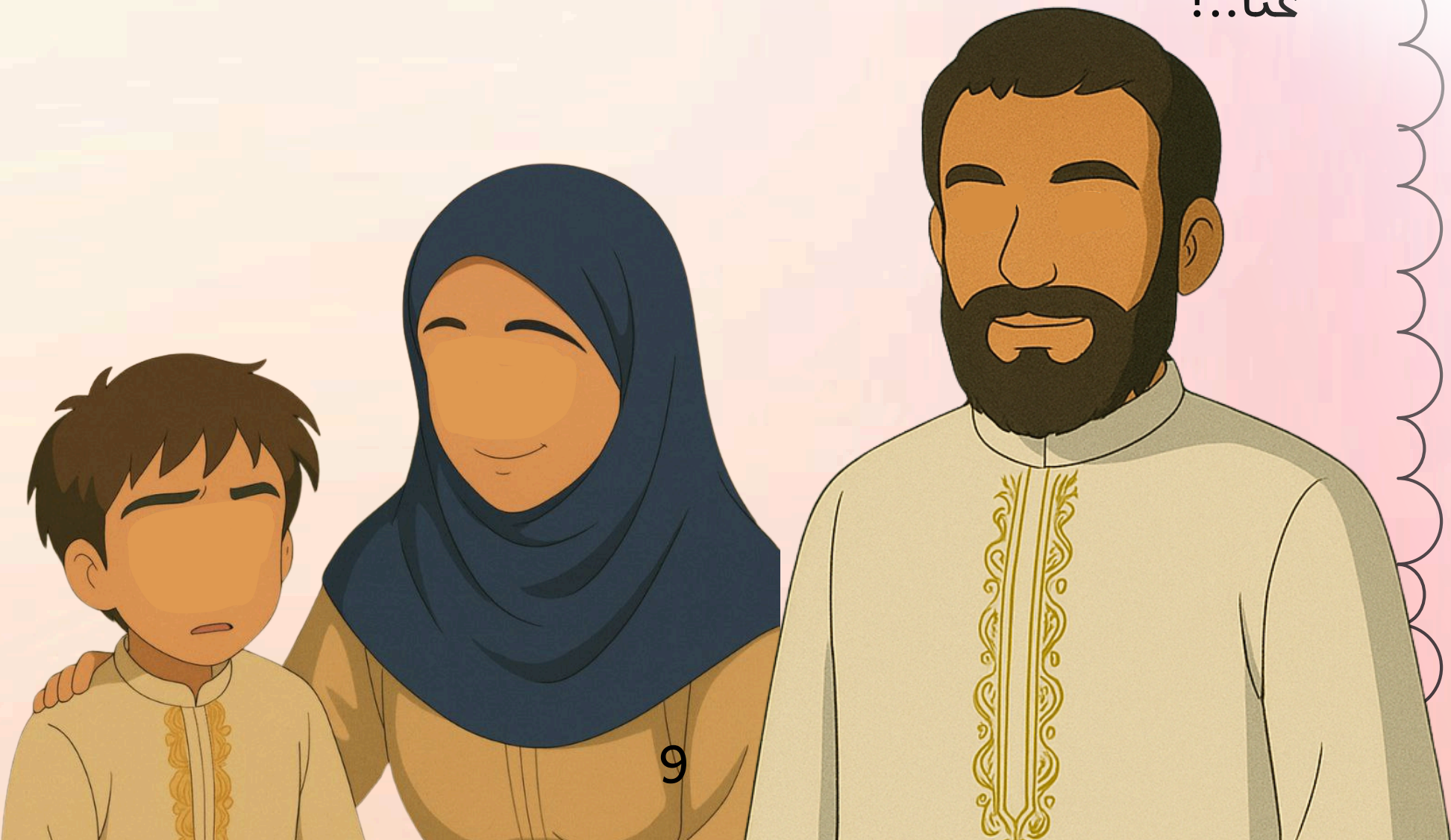
هِيَ الَّتِي تُعَلِّمُ طِفْلًا يَعْرِفُ اللَّهَ وَيُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ، وَيُوَاجِهُهُ
الْأَزْمَاتِ بِثَبَاتٍ، وَيُعْطِي قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَكُونُ رَحِيمًا وَشَجَاعًا
وَمُنْظَمًا. هِيَ الْأُمُّ الَّتِي تُوفِّرُ
مَكَانًا آمِنًا وَسَكَنًا طَيِّبًا
وَسَعَادَةً يَحْتَاجُهَا كُلُّ إِنْسَانٍ،
وَيَفْتَقِدُهَا مَنْ خَرَجَتْ أُمُّهُ
مِنَ الْبَيْتِ.

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَيُّ وَظِيفَةٍ
فِي الْعَالَمِ الْقِيَامَ بِهَذَا
الدَّورِ غَيْرَ الْأُمِّ فِي الْبَيْتِ؟
هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ
يُعَوِّضَ الْأُمَّ فِي بَيْتِهَا؟!

هَزَّ عُمَرُ رَأْسَهُ بِقُوَّةٍ:
- لَا.

وَضَعَتِ الْأُمُّ يَدَهَا عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَتْ:
- وَأَنَا يَا عُمَرُ أَعْمَلُ عَمَلًا لَا يُكْتَبُ فِي الْوُظَائِفِ، أَعْمَلُ فِي
صِنَاعَةِ إِنْسَانٍ، وَأَنْتَ أَكْثَرُ مَشْرُوعٍ لِي.
نَظَرَ إِلَيْهَا طَوِيلًا، وَرَأَى فِيهَا مَدْرَسَةً كَامِلَةً لَا تُغْلِقُ أَبْوَابَهَا أَبَدًا.

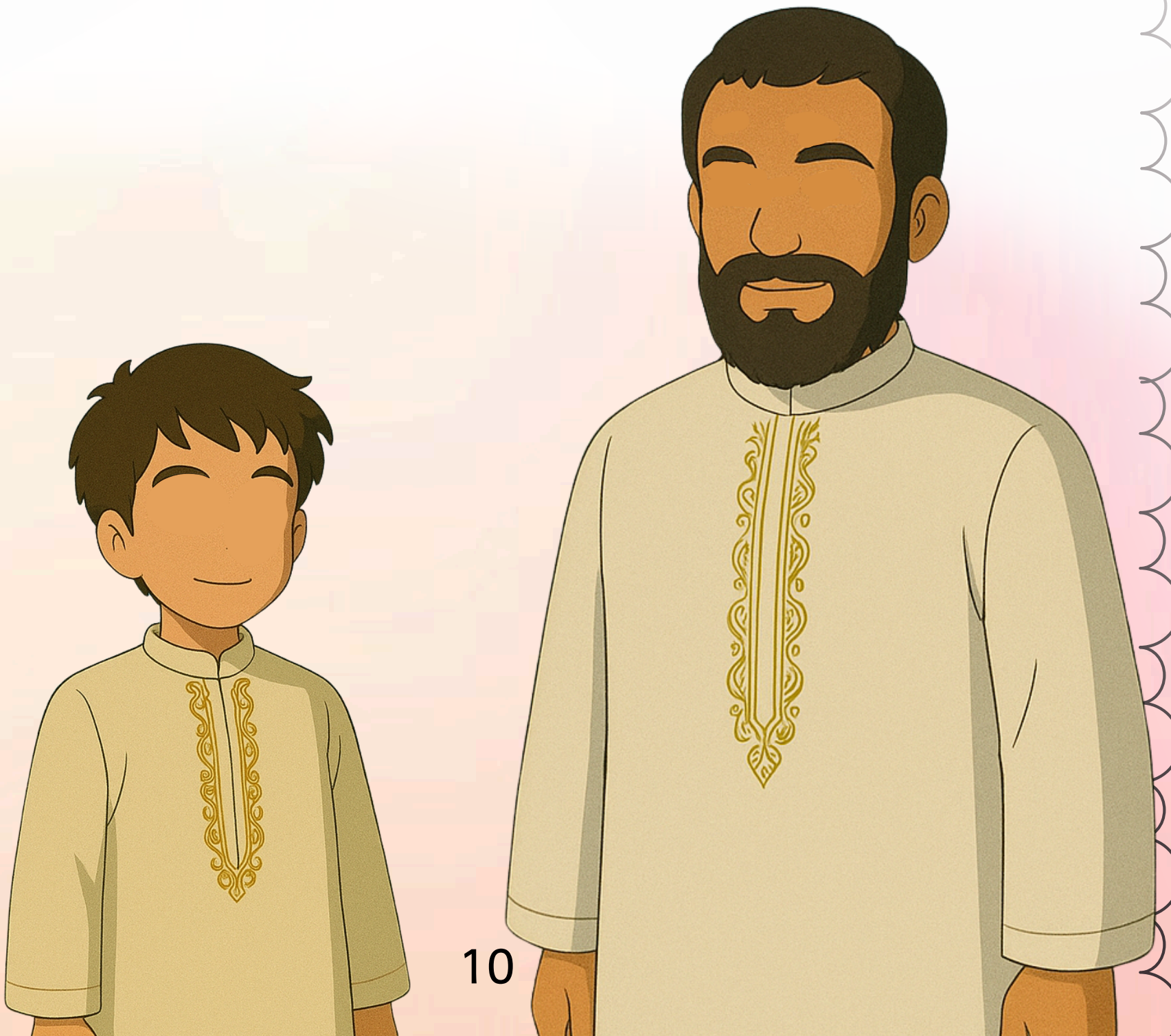
فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ دَخَلَ يَحْيَى، وَالِدُ عُمَرَ، وَانْتَبَهَ لِحَدِيثِهِمَا،
فَالْتَقَطَ الْوَرْقَةَ، وَقَرَأَ مَا فِيهَا، وَفَهَمَ سَرِيعًا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا،
فَقَالَ: - أُمَّكَ تَعْمَلُ أَنْبَلَ عَمَلٍ فِي الْعَالَمِ يَا عُمَرُ، أُمَّكَ زَوْجَةٌ
صَالِحَةٌ، وَأُمُّ مُرَبِّيَّةٌ حَانِيَةٌ، وَمَلِكَةٌ فِي مَمْلَكَتِهَا، فَهَلْ تَتَخَيَّلُ
يَوْمًا تَرْجِعُ فِيهِ إِلَى الْبَيْتِ فَلَا تَجِدُ فِيهِ أُمَّكَ؟!
صَاحَ عُمَرُ: - لَا! لَا أَتَخَيَّلُ ذَلِكَ، أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَتَحْمَلَ بُعْدَ أُمِّي
عَنَّا!..!



قَالَ يَحْيَى:

- أَحْسَنْتَ يَا عُمَرُ، وَهَذِهِ الْوَضِيفَةُ الَّتِي لَا يُسْتَعْنَى عَنْهَا هِيَ
أَنْبُلٌ وَضِيفَةٌ! أُمَّكَ تَصْنَعُ الْإِنْسَانَ وَتَحْفَظُ الْبَيْتَ وَتُطِيعُ رَبَّهَا،
فِي بَيْتِهَا. وَالْمَرْأَةُ الَّتِي تَخْرُجُ لِتَعْمَلَ فِي الْخَارِجِ، فَهِيَ بِلَا شَكِّ
تُقَصِّرُ فِي صِنَاعَةِ الْإِنْسَانِ وَحِفْظِ الْبَيْتِ وَعِبَادَةِ رَبِّهَا.
لِذَلِكَ لَا مَجَالَ لِلْمُقَارَنَةِ هُنَا، إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُصَوِّرُوا النَّجَاحَ
فَشَلًّا وَالْفَشَلَ نَجَاحًا، فَلَا تُلْقِ بَالًا لِكَلَامِهِمْ يَا عُمَرُ.

إِبْتَسَمَ عُمَرُ بِشُعُورِ الرِّضَا، وَقَرَّرَ أَنْ يُوَاجِهَ كُلَّ هَذِهِ الْمُنْعِصَاتِ
بِدُونِ خَجَلٍ أَوْ تَرَدُّدٍ.



وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، اِلْتَقَى بِزَمِيلِهِ وَوَلِيدٍ، فَسَأَلَهُ بِسُخْرِيَّةٍ:
- أُمَّكَ لَا تَعْمَلُ... صَحْ؟

اِبْتَسَمَ حُمْرُ بِثِقَةٍ وَقَالَ:

- لَا، أُمِّي تَعْمَلُ. تَعْمَلُ عَمَلًا كَبِيرًا. تُعَلِّمُنِي كَيْفَ أَعْرِفُ
اللَّهَ وَأَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَرْتَبُ حَيَاتِي وَأُوَاجِهُ الْمَشَاكِلَ
بِشَجَاعَةٍ، وَأَصِيرُ عَبْدًا صَالِحًا. أُمِّي مَلِكَةٌ فِي مَمْلَكَتِهَا، هِيَ
شَمْسُ الْبَيْتِ وَلَا نَسْتَطِيعُ الْعَيْشَ بِدُونِ عَمَلِهَا، كَزَوْجَةٍ
صَالِحَةٍ وَأُمٍّ مُرَبِّيَّةٍ وَصَانِعَةٍ لِلْأَمَانِ وَالرَّاحَةِ وَالسَّعَادَةِ. هَذَا
عَمَلٌ يَا وَوَلِيدُ، لَا يَقُومُ عَلَيْهِ إِلَّا أُمٌّ بَطَلَةٌ.

صَمَتَ وَوَلِيدٌ وَشَعَرَ بِالْإِحْرَاجِ، إِنَّهُ يَفْتَقِدُ حَقًّا هَذِهِ
الْمَعَانِي. لَقَدْ فَهِمَ
شَيْئًا لَمْ يَفْهَمُهُ
بِالْأَمْسِ.



إِعْتَذَرَ وَوَلِيدٌ مِنْ عُمَرَ، وَقَالَ:

- أَنَا آسِئٌ لِأَيِّ أَسَأْتُ إِلَيْكَ يَا عُمَرُ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ هَذَا
الْكَلَامَ فِي الْفَضْلِ الْآخِرِ، وَنَقَلْتُهُ كَمَا هُوَ دُونَ تَفْكِيرٍ، فَشُكْرًا
لِتَنْبِيهِ عَلَيَّ.

قَالَ عُمَرُ:

- لَا شُكْرَ عَلَيَّ وَاجِبٍ يَا وَوَلِيدُ، لَيْسَ كُلُّ مَا يَقُولُهُ النَّاسُ هُوَ
الْحَقُّ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَتَدَاوَلُونَهُ هُوَ الصَّحِيحُ، نَحْنُ الْيَوْمَ فِي زَمَنِ
انْقَلَبَتْ فِيهِ الْمَقَائِيسُ، عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَدِيَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرُهُمْ تَكْفِينَا قُدْوَةً
وَسَعَادَةً.

قَالَ وَوَلِيدُ:

صَدَقْتَ يَا عُمَرُ، فَلَمْ
تَكُنْ زَوْجَاتُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَخْرُجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
لِلْعَمَلِ خَارِجًا، لَقَدْ
فَاتَنِي هَذِهِ الْحَقِيقَةُ
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ
لِي جَهْلِي وَتَسْرِعِي
وَإِيذَائِي لَكَ.

إِبْتَسَرَ عُمَرُ وَقَالَ:

- لَا بَأْسَ يَا وَلِيدُ، نَحْنُ نَتَعَلَّمُ، وَنَسْتَفِيدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شُكْرًا لَكَ يَا صَدِيقِي.

مَضَى عُمَرُ يَمْشِي، وَقَلْبُهُ يُضِيءُ بِنُورٍ صَغِيرٍ، نُورٍ مِنْ يَدِ أُمِّهِ وَمِنْ قَلْبِهَا، نُورٍ لَنْ يَنْطَفِئَ أَبَدًا.

وَدَخَلَ عُمَرُ هَذِهِ الْمَرَّةَ إِلَى الْبَيْتِ، عَلَى خَيْرِ حَالِهِ بِالْأَمْسِ، لَقَدْ شَعَرَ بِالْقُوَّةِ، وَالسَّعَادَةِ، وَالْفَخْرِ فِي أَنْ وَاحِدٍ.

إِسْتَلْقَى عَلَى سَرِيرِهِ وَبَدَأَ يَتَأَمَّلُ سَقْفَ خُرْفَتِهِ، وَفِي لَحْظَةٍ، بَدَأَ يَتَخَيَّلُ! كَيْفَ لَوْ أَنَّ أُمَّي اخْتَفَتْ مِنَ الْبَيْتِ؟ كَيْفَ لَوْ أَنَّ أُمَّي

بَدَأَتْ تَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ لِلْعَمَلِ

فِي الْوِظِيفَةِ خَارِجَ الْبَيْتِ؟

لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَخَيَّلَ

شَيْئًا كَهَذَا!!

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ أُمَّي

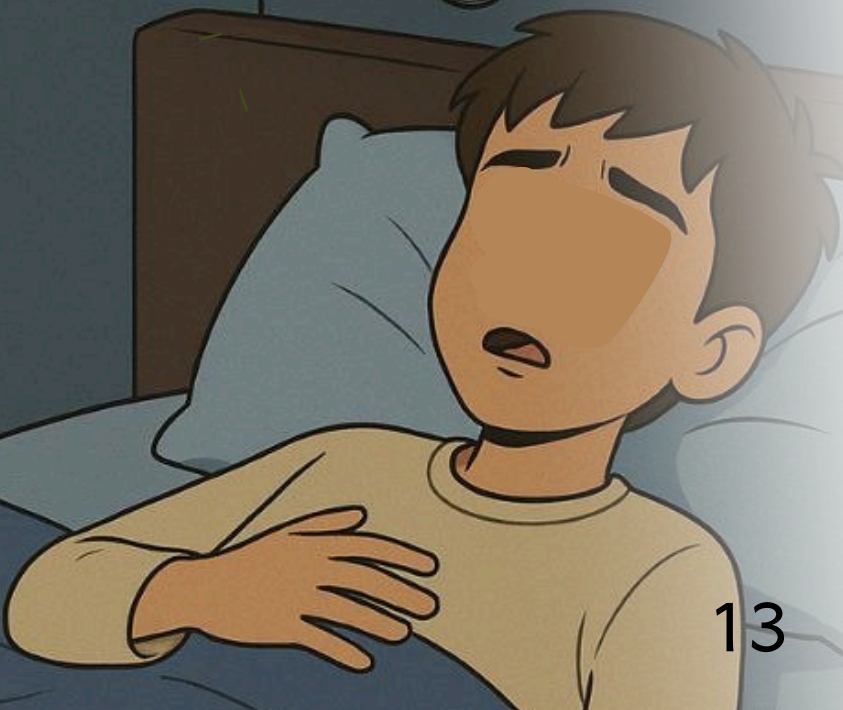
مُتَفَرِّغَةٌ لَنَا، وَمُهْتَمَّةٌ

بِعَمَلِهَا كَرْبَةً بَيْتِ

وَأُسْرَةٍ وَمَلِكَةٍ فِي

مَمْلَكَتِهَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ أُمَّي الْبَطْلَةَ.



جِيلُ الْخِلَافَةِ



ketweb.com